الأمومة تتحداني

في طقس سنوي، كلما اقترب عيد ميلاد «آدم»، أجدني أجتر الذكريات وأتأمل رحلتنا معًا. لقد سرنا معًا طريقًا، يبدو طويلًا، مليئًا باللحظات الجميلة وحافلًا بالانتصارات الصغيرة، ولكني الآن سأحكي عن أصعب عشر خطوات خطوتهم معه في هذه الرحلة.

1) الحميمية

قد يبدو عنوان هذه الخطوة صادمًا، من يجد التقارب والارتباط والحميمية عبئًا؟ كل منا له طاقة معينة للحميمية ولكن مهما ارتفعت أو انخفضت طاقتك، فستجدين درجة الحميمية التي تطلبها الأمومة الحقة تفوق قدرتك على الاحتمال. لن تستطيعي الانفراد بنفسك لحظة _على الأقل أول ثلاثة أعوام_ لأن هناك كائنًا صغيرًا، اخترتِ أنتِ بكامل إرادتك أن تأتي به إلى هذا العالم، نظره وقلبه وجميع حواسه معلقة بكِ. هذا الكائن الصغير يحتاج أن يلمسك وأن يراك وأن يشم رائحتك وأن يسمع صوتك وأن يشعر بدقات قلبك وأن يرى ابتسامتك أثناء يقظته وأثناء نومه بلا أي استثناءات.

2) مواجهة مع الطفولة

وجود طفل في حياتك وتحت رعايتك يحتم عليك قطع الكثير من الرحلات المكوكية لطفولتك أنت شخصيًّا. كل يوم، لمرات عديدة، ستزورين مواقف وحوارات ولحظات بعينها دفنتيها في صندوقك الأسود وتركتيها لتتفحم. سوف تضطرين إلى استرجاعها وتحليلها والتصالح معها حتى لا تكرريها مع طفلك. سوف تتذكرين كل ما كسرك حتى لا تكسريه، وكل ما جرحك حتى لا تجرحيه، وكل ما شوهك حتى لا تشوهيه، وعندما تخطئين في حقه، سوف يكون الألم مضاعفًا لأنك تعرفين مقدار الدمار الذي ستتسببين فيه.

3) اتخاذ القرارات

أنا أكره اتخاذ القرارات! لا أتخيل كم القرارات التي اتخذتها خلال أعوام «آدم» السابقة وتنوعها وعواقبها. قرارات لحظية وأخرى يومية، قرارات مصيرية، قرارات زمنية، قرارات في جميع نواحي الحياة. قرارات قد تبدو صحيحة، قرارات تأتي معها عواقب، قرارات تزيد من شعوري بالغربة وعدم الانتماء للمكان والزمان.

4) رؤية العالم من منظور طفل

كان عليَّ أن أتخلى عن المنطق لأن عالم الطفل بلا منطق! الطفل ينبهر بكل شيء، يحركه الفضول والرغبة في الاستكشاف والخيال. يخاف من أشياء لا أدركها ولا يهاب كل ما أجده مرعبًا. يحتاج للحركة والخروج بصورة دائمة ويومية ولا يعرف أي شيء عن الذوق والأصول والعيب ومشاعر الآخرين. كيف يمكن لشخص أن يتحمل هذا المزيج من الأنانية والفضول في آن واحد دون أن يفقد أعصابه، ويخطئ؟

5) لا مفر

كم كانت مريحة حياتي السابقة، وظيفة لا تعجبني أتركها! علاقة تؤلمني أتركها! صداقة ترهقني أتركها! البدء من جديد كان أسهل قرار، حتى أصبحت أمًّا! مهما كان الألم أو التعب أو الإرهاق أو الغضب أو الثورة، لا مفر! لا يمكن أن أدخل حجرتي وأغلق الباب

خلفي، ولا يمكن أن أفتح الباب وأترك طفلي ورائي، ولا يمكن أن أدخل الحمام وأحبس نفسي! لا يمكن أن أترك ورائي طفلًا باكيًا متشبثًا بي وأدخل صومعتي المهجورة. لا يمكن أن أتقوقع في فراشي وأرفض القيام بواجباتي مهما أردت ذلك أو احتجته، الحياة يجب أن تستمر رغمًا عن أنفي!

6) التعليم

جميع قراراتي المتعلقة بالتعليم مبنية على تجربتي الشخصية في التعليم في هذا البلد. في مكان آخر يحترم الطفل واحتياجاته وقدراته ويستثمر في المعلم ولا يستهين بإعداده وتعليمه وتأهيله، كنت سأسلك طريقًا مختلفًا، هكذا أقول لنفسي. لكن بيني وبين نفسي، بداخلي، في أعماقي، أنا أعرف أن كل بلد له عيوبه وكل نظام تعليمي له عيوبه. أظن أن قرار التعليم المنزلي كان سيكون قراري في أي بلد.

7) التغيير

إذا قابلتِ أمًّا أو أبًّا وقالوا لك بكل ثقة إن وجود طفل في حياتهم لم يغيرهم ولم يغير حياتهم، فاعلمي أن طفلهم يعاني معهم وبسببهم. البعض يسميها تنازلات والبعض الآخر يسميها تضحيات، ولكني أفضل أن أسميها جميعًا تغييرات. لتستجيبي لاحتياجات الطفل الأساسية، عليك أن تهجري موقعك الأثير المريح في الحياة وتبدئي رحلة الصيد والجمع! تصطادين الفرص لإثراء طفولته وإسعاده وتجمعين المعلومات لتساعدك على اتخاذ قرارات التعليم والرياضة والهوايات والأغذية والفسح والرحلات والصداقات.

تهجرين عاداتك السيئة وتتغيرين قدر استطاعتك لتكوني قدوة لهذا الكائن الذي يراقبك في صمت ويتعلم منك ومن خلالك. كلما زاد إدراكك للمسئولية زادت التغييرات.

8) الصبر

كل شيء في هذه الرحلة يحتاج للصبر ويعلم الصبر ويدعوك للاستمتاع بالطريق بدلًا من انتظار النتائج.

9) الدراسة

تربية الطفل تحتاج دراسة، رعاية الطفل تحتاج دراسة، تعليم الطفل يحتاج دراسة، كل القرارات تحتاج دراسة.

10) الهموم

بالإضافة للهموم المعتادة، ستحملين هم هذا الطفل وكل ما يتعلق به، ولن تضعيه أبدًا! ستحملين الهم إلى ما لا نهاية!